أدب الحوار
في الإسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

أدب الحوار فى الإسلام

أرسى الإسلام قواعد التعامل مع معتنقى الأديان الأخرى على نحو لم تصل إليه الحضارة الحديثة ؛ إذ كانت العلاقات بين أتباع الأديان المختلفة منذ الأزل متوترة ، وصلت فى كثير من الأحيان إلى إراقة الدماء أنهاراً ، فإن سكنت قرقعة السلاح بين الحين والآخر ، فإن التراشق بالكلمات ظل متواصلاً ، لا يعرف الهدوء ، ولا يقر التوقف لسماع الآخر ، فالجدل الدينى ظل سيد الموقف بين المتدينين ، ورمى كلٌ الآخر بالهرطقة والكفر أصبح أسلوباً من أساليب التدين ، ومظهراً من مظاهر التقوى والصلاح ، وتفنيد ضلال الآخر وانحرافه نغمة محببة عند دعاة كل دين ، والدعاء على الآخر بالهلاك والدمار وتيتيم الأطفال ، وترميل النساء ....و.....و... إلخ سنة — إن لم تكن واجباً — من سنن التقرب إلى المعبود ، وإجبار كلٌ الآخر على اعتناق عقيدته التى ارتضاها ديناً من أكبر الواجبات الدينية ، إن لم يكن أكبرها ، يضحى فى سبيلها المتدين بكل ما يملك ... حتى نفسه ، يقدمها قرباناً لمعبوده ، حتى ينال رضاه ، ويحصل على ثوابه .

احتلت قضية الصراع الدينى مكان الصدارة فى تاريخ صراع الجنس البشرى ، إذ لم يخل عصر من العصور من وجود خصومة بين الشعوب على أساس دينى ، تصل فى كثير من الأحيان إلى حد الصراع المسلح بينها ، كذلك لا يلتقى اثنان من أتباع دينين مختلفين إلا وتقوم بينهما مناقشات ومحاورات حول مبادئ وتعاليم عقيدتيهما ، تارة تكون بألفاظ مهذبة ، وأخرى تصل إلى حد التراشق بالألفاظ الخارجة عن موضوع البحث ، أو بأسلوب يتسم بالعنف والبعد عن الطريق الموصلة إلى الحقيقة .

كان هذا هو طابع الصراع الدينى والخصومة المذهبية منذ القدم ، شب عليها الجنس البشرى ، جيلاً بعد آخر ، فأورثه ذلك أحقاداً وخصومات بين الشعوب ، كما أنه خلف من الضحايا والمآسى ما تقشعر منه الأبدان ، إذ لم تروع البشرية على امتداد التاريخ الإنسانى بمثل ما روعت به مما حل بها من آثار التعصب الدينى الذى مزق الجنس البشرى إلى معسكرات متحاربة ، يقتل بعضها بعضاً باسم الدين ، ويستحل بعضها دماء آخرين فى سبيل الدعوة إلى

العقيدة ، بل إن أبناء الدين الواحد تفرقوا شيعاً وأحزاباً يقتل بعضهم بعضاً فى سبيل فرض رأى على آخر.

حتى جاء الإسلام ، فنهى عن سباب أتباع الأديان الأخرى ، مهما كان وضع عقيدتهم – سماوية أم بشرية – وعلى أى مستوى كانت درجات القيم والمبادئ التى يعتنقونها ويدعون إليها ، يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، أى ولا تسبوا الذين يتخذون معبوداً آخر غير الله إلهاً لهم ، سواء كان هذا المعبود بشراً ، أو حجراً ، أو أى صورة من الصور المادية فى هذا الكون .

كما رسم الإسلام منهج الدعوة إلى الإسلام ، بعيداً عن العنف والاستهزاء بالآخر ، أو التعالى عليه ، فقال : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، بل إنه مدح الصالحين من أتباع الأديان الأخرى ، فقال :﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران :٧٥] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [البقرة : ٦٢] ، وأثنى على من يخشع لله ويطلب المغفرة منه ، فقال :﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ

ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المائدة : ٨٢ – ٨٥] ، ولم يجبر من رفض الإسلام على الدخول فيه ، فقال تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، بل إنه استنكر حرص الرسول ﷺ على هداية قومه ، حينما اقترب هذا الحرص من رغبته على إكراههم وحملهم بالقوة على اعتناق الإسلام ، فقال له :﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ [يونس : ٩٩] ، وهذه من أهم المبادئ – إن لم يكن أهمها – فى مجال حرية الرأى والتعبير ، التى تحتل رأس قائمة حقوق الإنسان فى العصر الحديث .

علّم الإسلام المسلمين أدب الحوار فى مجال تصحيح ما لدى الآخرين من أخطاء فى العقيدة ؛ إذ أورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة ، ترشد المخطئين إلى الصواب بأسلوب لين ، وتعبيرات مهذبة ، وإشارات رقيقة ، منها قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفرقان : ٣] ، وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج : ٧٣ – ٧٤]

وكان دقيقاً فى الحديث عمن أخطئوا فى حق الله تعالى ، فقال : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا

﴿ يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة : ٧٣] ، فلم يقل : لقد كفر المسيحيون الذين قالوا ..... لأن منهم من لم يقل ذلك ، وكان فى جداله معهم مهذباً ، حتى مع الذين تمادوا فى تأليه عيسى عليه السلام ؛ إذ لم يستعمل فى خطابهم أسلوباً جارحاً ، أو استهزاءً منكراً ، فقال : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة : ١٧]

غير أن الفكر الدينى لم يلتزم بالتعاليم التى جاءت بها الأديان فى هذا الصدد ، فتبارى علماء الدين والمفكرون المهتمون بالقضايا الدينية فى الهجوم على أديان الآخرين سبًّا وقذفاً وافتئاتاً عليه ، ظنًّا منهم أنهم بذلك يؤدون خدمة لدينهم ، ويدافعون عن عقيدتهم ، ويحمون أتباعهم من تأثير الأديان الأخرى عليهم ، ومن يقرأ الكتب والمصنفات التى كُتِبَت حول هذا الموضوع ، لا يجد إلا تراشقاً ، ولياً للنصوص ، وتأويلاً لم تأويلاً يبعدها عن روح الدين وقيمه ، بل وصل الأمر بالنصوص المقدسة – التى سبقت الإسلام – إلى تحريفها وضياع الكثير من أصولها ، ولهذا اهتم كثير من علماء الأديان ، والباحثين فى علوم اللاهوت ، بدراسة الكتب المقدسة السابقة على القرآن الكريم ، من الناحية التاريخية ، والمنهجية ، فتوصلوا فى أبحاثهم إلى أن هذه الكتب ليست وحياً كلها ، لأنها تضمنت معلومات تاريخية غير صحيحة ، واشتملت على أخلاقيات تتنافى مع روح الوحى الصحيح . ومن المستبعد أن يخبر النبى بشىء مخالف للواقع ، لأنه يتلقى الوحى من الله ، وهو بكل شىء عليم ، كما أنه من المرفوض عقلاً ، أن يبلغ الناس أحكاماً لا تتفق مع روح الدين ، أو يرتكب أعمالاً تتعارض مع المبادئ الدينية .

ولهذا أخبر القرآن الكريم ، بأن هذه الكتب قد فقدت حجيتها ، لأنه اختلط فيها الحق بالباطل ، فيقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [آل عمران : ٧١] ، ويقول : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم

بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ [آل عمران : ٧٨] ، ويقول : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ [المائدة : ١٣]

كما ركزت كتب علم الأديان على قضايا المقارنة بين الإسلام والمسيحية كـ : تعدد الزوجات ، ونعيم الجنة ، وقضية الصلب ... وغيرها ، وألقت الضوء على تحريف الكتاب المقدس الذى بين يدى اليهود والنصارى من خلال ما كتبه أهل الملة أنفسهم ، أضف إلى ذلك ما طرحه من قضايا اختلفت فيها الرؤى بين علماء الدين ، وهذه هى ثمرة علم مقارنة الأديان فى العصر الحديث .

obeikandl.com